ح١٠

الإيضاحات المتعلقة بالمعنى الجملي لآية البسملة

٩ ـ أدب البسملة جزء من منظومة الآداب مع الله سبحانه في الدين وموضع البسملة بينها

الإيضاح التاسع: أنّ أدب البسملة ـ الذي وُجِّه الإنسان إلى الابتداء به في مفتتح الرسائل الإلهية المتواترة إلى الخلق في هذه الرسالة الخاتمة التي بُعِث بها الرسول الخاتم ـ جزء من منظومة آداب الإنسان في الدين تجاه الإله الخالق ولها موقع مميز بين تلك الآداب.

بيان ذلك: أنّ الدين ـ كما يتضمنه القرآن الكريم ـ يشتمل على أصلين:

١ -أدب مع الإله الخالق المعني بالإنسان، وهو ما تضمنه الابتداء باسمه في آية البسملة، كما تضمنته سورة الحمد ـ مضافاً إلى البسملة ـ من خلال تحميده وحصر العبادة والاستعانة والاستهداء به.

٢ -آداب وحدود تراعى مع الخلق وفق الوشائج القائمة معهم، منها الأبوّة والأمومة والبنوة، ووشيجة القربى، ومنها وشيجة الجوار والصحبة والزواج، ومنها وشيجة الدين والإيمان، وغيرها، ثم وشيجة الإنسانية العامة الرابطة بين الناس والتي تقتضي رحمة الإنسان بأخيه الإنسان، وهي أعم الوشائج وأشملها، وقد جاء في القرآن الكريم ذكر الوشيجة مع الخالق ومع الناس معاً، كما قال سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى**

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وقال عز من قائل: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾**[1]، ففي هاتين الآيتين نلاحظ ذِكر حقوق الله وحقوق الخلق والوشائج الرابطة بينهم معاً.

ويعتمد الأدب مع الخالق من المنظور الفطري والقرآني على أمرين:

١ـ وشيجة الخلق والإنعام التي تربط الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى، وقد أشير إلى هذه الوشيجة بقوله تعالى في سورة الحمد: **﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[2]، وهذه الوشيجة آكد وأعمقُ وشائجِ الإنسان في هذه الحياة والتي تربطه بالآخرين، لأنّ هذه الوشيجة مبنية على أنّ الإنسان صنيعة الله سبحانه وكل ما يُسعَد به هو صنائع الله سبحانه لديه ومعروفه إليه.

---

(١) سورة البقرة: آية ٨٣.

(٢) سورة البقرة: آية ٢١ ـ ٢٢.

٢ـ عناية الله سبحانه بالإنسان، وذلك أنّ الله سبحانه لو خلق الإنسان وتركه وشأنه غير معتنٍ به لتجري عليه السنن العامة التي سنّ عليها وجوده، فربما لم يكن هناك ما يقتضي رعاية أدب خاص معه، ولكنه الله سبحانه وتعالى معنيّ بالإنسان كما دلّت عليه النصوص، وقد خلقه ليكون خليفته على الأرض وأنعم عليه بنعم كثيرة ظاهرة وباطنة ليشكره، وهذا ما جاء في الدين الإلهي عبر الرسالات التي بعثها الله سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ**﴾[١]، ﴿**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[٢]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[٣]، وقد جاء في القرآن الكريم في أوصافه العامة رحمن، رحيم، ودود، رؤوف، لطيف، كريم، غفور، وغير ذلك، كما جاء في أوصافه الخاصة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٤]، ﴿**الْمُتَّقِينَ**﴾[٥]، ﴿**الْمُقْسِطِينَ**﴾[٦]، وتتمثل عناية الله سبحانه بالإنسان في آية البسملة بذكر رحمته على وجه مؤكّد، وفيما بعدها في سورة الحمد بذكر ربوبيته سبحانه للعالمين، وبذكر

---

(١) سورة الشورى: آية ١٩.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٧، وسورة آل عمران: آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة: آية ١٤٣، وسورة الحج: آية ٦٥.

(٤) سورة البقرة: آية ١٩٥.

(٥) سورة آل عمران: آية ٧٦.

(٦) سورة المائدة: آية ٤٢.

رحمته مؤكداً مرة أخرى، وبأمر الإنسانَ بالاستعانة والاستهداء به مما يعني أنه سبحانه سوف يستجيب له إذا سأله ودعاه.

فهذا أساس لزوم رعاية الإنسان للأدب مع الله سبحانه تعالى وفق القانون الفطري الذي ذَكّر الله سبحانه به في القرآن الكريم وهو أساس يشمل أدب البسملة بطبيعة الحال.

هذا، ورعاية الأدب مع الله سبحانه وتعالى في الدين وفق ما ألهمه الإنسان في فطرته وجرى التذكير به في القرآن الكريم تقتضي أمرين:

١-التعامل معه تعالى بروح الشكر على إنعامه على الخلق بشتى النعم، كما ذكر في القرآن الكريم كثيراً حتى سُمّي المؤمن بالله شاكراً والجاحد كافراً لكفرانه بإنعام الله سبحانه عليه[١].

٢-التعامل معه بروح الخضوع والتوقير، فإنّ هناك آداب رابطة بين كل كائنين عاقلين، كما في آداب العشرة بين الناس، وحيث إنّ الإنسان في محضر الله سبحانه فهناك أدب يليق به تجاهه تعالى[١].

---

(١) ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ (سورة إبراهيم: آية ٣٢ـ ٣٤).

ويتجسد معنى الشكر والخضوع لله سبحانه في الدين في عدة وظائف للإنسان ملائمة لفطرته، وقد ذَكَّر بها الله سبحانه في القرآن الكريم وكان أدب البسملة أحدها، ولا بأس بذكرها على وجه الإيجاز لمعرفة منظومات الآداب مع الله تعالى في الدين، ولا سيما في مستهل تفسير القرآن الكريم:

١ـ معرفة الله سبحانه وصفاته والإذعان به وبها، كما قال سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ**﴾(٢)، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(٣)، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾(٤)، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾(٥)، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾(٦)، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(٧)، وقد وذكر من صفاته في آية

---

(١) قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ (سورة الأحزاب: آية ٤١ ـ ٤٢)، ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾ (سورة البقرة: آية ٢٠٠)، ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ (سورة الفتح: آية ٨ ـ ٩)، ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ (سورة السجدة: آية ١٥).

(٢) سورة النساء: آية ٣٦.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٣١.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٦٧.

(٥) سورة البقرة: آية ١٩٤.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٣٥.

(٧) سورة البقرة: آية ١٩٦.

البسملة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكذلك عدم إشراك أحد أو شيء آخر معه في الألوهية وخصائصها، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]، وقد أشير إلى ذلك في سورة الحمد بالحصر في الربوبية والعبادة والاستعانة في: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٢ـ الإذعان بحق الله سبحانه على الإنسان في معرفته وتصديقه وتشريعه للإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٢]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[٤]

٣ـ توقير رسل الله سبحانه وأوصيائهم (عليهم السلام) إلى الإنسان بالتحقق الجاد المنصف من صدقهم، وثمّ تصديقهم وكذلك رعاية الآداب معهم، فإنّ ذلك أدب مع الله[٥].

---

(١) سورة لقمان: آية ١٣.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٤٣.

(٣) سورة الأنعام: آية ٩١.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٣٦.

(٥) كما قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (سورة المائدة: آية ٩٢)، ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (سورة النور: آية ٦٣).

٤ـ احترام قوانين الله سبحانه التي سنّها للإنسان من منطلق الحكمة البالغة والنصح والعلم المحيط التي جاءت بها الرسل كما قال سبحانه: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾[١].

٥ـ التوبة من ارتكاب الخطيئة، كما قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾[٢]، وكذلك التكفير عنها في موارد خاصة منصوصة مثل حنث اليمين والصيد في حال الإحرام في حال الحج والعمرة، وذلك بالأعمال الصالحة مثل العتق والصيام والتصدق على الفقراء.

٦ـ تذكّر الله سبحانه واستحضاره في هذه الحياة على وجه الخضوع والتعبد على وجه مناسب من حيث الكم ومن حيث الكيف ومن حيث موقع التذكر والاستحضار على وجه يليق بشأنه سبحانه من عظمة وعلم وقدرة وكمال وبشأن خلقه وإنعامه على الإنسان كما قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[٣].

هذا، وقد تمثل هذا الذكر والاستحضار في عدة عبادات وآداب ملائمة مع التكوين النفسي للإنسان وعواطفه الفطرية:

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٢.

(٢) سورة التحريم: آية ٨.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٤١ ـ ٤٢.

١-ذكر الله سبحانه بالتوحيد والتكبير والخضوع في آناء الليل وأطراف النهار، وتمثل هذا الأمر بشكل خاص في الصلاة التي أوجبت عدّة مرات بالتزامن مع الآيات الكبرى لله سبحانه في الأرض والسماء التي تحقق التوقيتات الفاصلة من زوال الشمس وغروبها وإرهاص طلوعها عند الفجر، ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾، ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ**﴾[١]، كما جاء في السنة إيجاب ذكره تعالى عند اتفاق آيات أخرى كونية كما في الكسوف والخسوف.

٢-ذكر رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالعبودية والرسالة والصلاة عليه إذعاناً بدوره في الرسالة وأداء لحقه في أدائها، كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢] وقد ضُمِّن المفروض من ذلك في الصلاة المفروضة كما جعلت جزءاً في كل صلاة ولو كانت مسنونة، وسن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صريحاً إلحاق آله به في الصلاة فيما علّمه أصحابه في صيغة الصلاة عليه[٣] بأن يقولوا: (اللّٰهم صل على محمد وآل محمد).

---

(١) سورة هود: آية ١١٤.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٦.

(٣) لاحظ: صحيح البخاري: ٦/٢٧، (قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللّٰهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللّٰهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

٣-قراءة جزء من رسالة الله سبحانه إلى الإنسان في كل يوم، كما قال سبحانه: ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾[١]، فقد ضُمِّن ذلك في الصلاة فرضٌ ثابت هو الفاتحة والفرض الآخر سورة أخرى بعدها.

٤-استحضار خاص لله سبحانه في عدد من أيام السنة من غير أن يكون أدب هذا الاستحضار ممارسة عبادة قولية وفعلية، بل بالترفع عن الشهوات في محضره سبحانه بمقدار نهار كامل، وذلك هو الصوم المفروض في شهر رمضان، كما قال سبحانه: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٢] وهو مستحب في سائر أيام السنة.

٥-النزول ضيفاً على بيوت الله سبحانه (المساجد) لمدة ثلاثة أيام، وهو ما يعبر عنه بالاعتكاف، وقد ذكره في القرآن الكريم في قوله: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾[٣]، ويكون من أدب هذه الضيافة المعنوية التزام المسجد والمكث فيه، وتجنب الشهوات بالصيام وترك العلاقة مع الجنس الآخر، والعمل التجاري، وهو ـ أي الاعتكاف ـ عمل مستحب.

٦-زيارة البيت الأعظم لله سبحانه وهو المسجد الحرام والمشاعر الأخرى، وأداء وجوهٍ من الخضوع والأدب لله سبحانه، وذلك هو الحج الذي يجب مرة

---

(١) سورة المزمل: آية ٢٠.

(٢) سورة البقرة: آية ١٨٣.

(٣) سورة البقرة: آية ١٨٧.

واحدة في العمر لمن استطاع، قال سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[١]، ويستحب ما يزيد على ذلك.

٧-حصر اليمين على الأخبار والالتزام بالله سبحانه وتجنب اليمين بغيره، وذاك أدب توحيدي مستحب في نفسه ورد في السنة[٢]، وقد اشترط في اليمين التي هي من موازين القضاء أن تكون بالله سبحانه كما جاء في القرآن الكريم.

٨-وفاء الإنسان بما أقسم على الالتزام به بالله سبحانه، ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ... وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٣]، وكذلك صدقه فيما أقسم بالله سبحانه فلا يحلف على الكذب في مقام الإخبار توقيراً له عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿**وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩٧.

(٢) لاحظ: وسائل الشيعة: ١٥٩/١٦، باب أنه لا يجوز الحلف ولا ينعقد إلا بالله وأسمائه الخاصة، ونحو قوله: لعمر الله ولاها الله.

(٣) سورة المائدة: آية ٨٩.

(٤) سورة المجادلة: آية ١٤.

٩-الإيفاء بالالتزام لله سبحانه سواء كان على وجه النذر له أو التعهد معه، كما قال سبحانه: ﴿**وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا**﴾[١]، ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾[٢].

١٠-احترام اسم الله تعالى بصيانته عن التهتك بمثل تنجيسه وإلقائه في القاذورات وسحقه بالأقدام ونحو ذلك، بل يستحب توقير اسمه عند ذكره بتعقيبه بمثل: (تعالى، سبحانه، عز وجل)، كما نلاحظ رعاية ذلك كثيراً في الروايات المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام).

وكأن هذا الاحترام من جملة ما ينطوي عليه أدب الابتداء باسمه في القرآن الكريم، وكذلك تعظيم اسمه سبحانه بقوله: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[٣]، وكذا التعبير بذكر اسمه في مقام قصد ذكر الله سبحانه، فإنه ضرب من التوقير والاحترام لاسمه الكريم.

١١-احترام ما ينتمي إلى الله سبحانه، وذلك أمور:

١ـ احترام كلام الله سبحانه ورسالته إلى الخلق لصيانته عن الهتك كما تقدم في اسمه، ومن وجوه احترامه هو الاهتمام بتلاوته والخشوع عندها، والإنصات عند

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٢.

(٢) سورة الإنسان: آية ٧.

(٣) سورة الرحمن: آية ٧٨.

سماعه، وسجود التلاوة في مواضعها، كما جاء ما يناسب ذلك في القرآن الكريم[١]، ومن الأدب المستحب الوارد في السنة تجنّب بيعه وشرائه، ولكن يباع الغلاف مثلاً، وكذلك عدم حفظ المصحف متروكاً ومُعرَضاً عنه.

٢ـ احترام بيوت الله سبحانه ـ وهي المساجد ـ بصيانتها عما يهتكها مثل تنجيسها وعدم دخولها دون طهارة إلا مروراً وعمارتها[٢]، وكذلك زيارتها والتحية عندها والإتيان بالصلاة فيها، وعدم ترك المسجد خالياً متروكاً، وقد يلحق بها بيوت الأنبياء والأوصياء.

---

(١) ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (سورة النساء: آية ١٤٠)، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: آية ٢٠٤)، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (سورة الانشقاق: آية ٢١)، ولاحظ (سورة السجدة: آية ١٥)، و(سورة مريم: آية ٥٨)، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (سورة الحديد: آية ١٦)، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: آية ٢٠٤).

(٢) قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (سورة الأعراف: آية ٣١)، ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (سورة التوبة: آية ١٨)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (سورة البقرة: آية ١١٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ (سورة النساء: آية ٤٣).

٣ـ احترام رسل الله وأوصيائهم وتوقيرهم في محضرهم أو عند ذكرهم، واحترام بيوتهم ومراقدهم مثل مسجد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالمدينة، ومراقد عترته وأهل بيته (عليهم السلام)، ويلحق بذلك احترام ذرية النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ونسله إكراماً له (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وقد ورد بعض ذلك في الكتاب وبعضه في السنة كما تقدم.

١٢-الولاء الخاص مع المؤمنين بالله سبحانه ومحبتهم والحذر من معاداتهم والقطيعة معهم، وعدم الولاء لمن يعادي المؤمنين في دينهم، فإنّ في ذلك توقيراً لله سبحانه ولدينه كما تفيده آيات القرآن الكريم[١].

١٣-الاهتمام برعاية سائر الناس للأدب مع الله تعالى على الوجوه المتقدمة، كما يحثّ الوالد الأولاد على رعاية الأدب مع عامة الناس، ومصداق ذلك الحثّ على الدعوة إلى الله تعالى والتبصّر فيما دعا إليه، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة مع المعارض بالتي هي أحسن، كما ورد ذلك في القرآن الكريم: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٢].

---

(١) ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ (سورة التوبة: آية ٧١)، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ (سورة الحجرات: آية ١٠)، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ... تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾ (سورة الممتحنة: آية ١).

(٢) سورة فصلت: آية ٣٣.

١٤-أدب القول والفعل وهو أدب الابتداء باسم الله سبحانه في الأقوال والأفعال، وأدب الحمد لله سبحانه في الانتهاء، وذلك أدب مستحب عموماً، ولكنه واجب عند تذكية الحيوانات بالذبح والنحر والصيد بمعنى أن لا يُستحل الحيوان من دون ذكر اسم الله سبحانه، كما ورد ذلك كله في القرآن الكريم، وتقدم ذكر بعض الآيات التي وردت في ذلك.

فهذا إيجاز عن منظومة الآداب الواردة في الدين مع الله سبحانه، وكل ذلك مما يتمثل في القرآن الكريم.

موقع البسملة وآية البسملة على وجهٍ أخصّ في منظومة الآداب الإلهية

وأمّا موقع البسملة وآية البسملة على وجهٍ أخصّ في منظومة الآداب الإلهية فقد عرفنا في الأدب الرابع عشر المتقدم آنفاً أنّ البسملة هي من جملة الآداب التوحيدية الداخلية في القرآن الكريم والذي عُني بشكل خاص بافتتاح كل سورة به وليس أوّل سورة قرآنية فحسب السور.

والوجه في خصوصية القرآن الكريم هو قدسيته ومكانته المميزة.

حيث يظهر من لحن القرآن الكريم نفسه أنّ قداسة القرآن لهي فوق قداسة مخلوقات الله سبحانه كافة، وكأنه من جهة أنه يحكي عن مقام علمه سبحانه وتعالى وعن مقام أمره، لا أنّه وجود مستقل كما هو الحال في مخلوقاته، فقداسته من قداسة الباري سبحانه، وليس غيره بهذه المثابة وهذا يلائم الارتكازات الفطرية، ولذلك نجد أنّ أفكار الشخص ألصق بذاته في ذريته وسائر منجزاته.

والذي يدل على تميز القرآن الكريم في قداسته تأمّل ما جاء فيه نفسه عن القرآن بالمقارنة مع ما جاء عن خلقه، ومن ذلك:

أوّلاً: أنه قد جاء فيه تقديس القرآن في مقام توصيفه ما لم يرد فيه تقديس ملائكته وأنبيائه، ومن ذلك:

١- قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾[١].

٢- قال سبحانه: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾[٢].

٣- قال جل جلاله: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٣].

٤- قال عز من قائل: ﴿**وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[٤].

٥- قال سبحانه وتعالى: ﴿**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ**

---

(١) سورة الحجر: آية ٨٧.

(٢) سورة البروج: آية ٢١ ـ ٢٢.

(٣) سورة الواقعة: آية ٧٥ ـ ٨٠.

(٤) سورة يس: آية ٢.

الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ * وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآَنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[١].

ولم يرد توصيف الملائكة والأنبياء بالعديد من هذه الأوصاف، فقد وصف القرآن بالعظمة بينما لم يصف سبحانه أي كائن من كائناته بالعظمة، ولم يصف أحد من خلقه بالحكيم، نعم ذكر أنّه آتى الأنبياء الحكمة، ولعل لوصف الله سبحانه شخصاً بالحكيم ما يعطي أنّه كذلك بنفسه وعلى وجه مطلق، والخلق ليسوا كذلك، إذ إنما يؤتون ويعلمون الحكمة من قبل الله سبحانه، على أنهم مأمورون دوماً بطلب مزيد من الحكمة والرشد، كما قال سبحانه: **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**[٢]، **﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾**[٣]، على أنّه سبحانه عتب عليهم في بعض المواقف كما عتب على الملائكة في قصة خلق آدم، وعتب على الأنبياء (عليهم السلام) في بعض الموارد.

وثانياً: أنه قد جاء في شأن القرآن الكريم آداب مميزة خاصة ذكرنا بعضها كقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآَنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾**[٤]، وقوله: **﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾**[١].

---

(١) سورة النمل: آية ١ ـ ٦.

(٢) سورة طه: آية ١١٤.

(٣) سورة الكهف: آية ٢٤.

(٤) سورة الانشقاق: آية ٢١.

وثالثاً: أنّ هذا القرآن هدي للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولأهل بيته (عليهم السلام)، ويجب عليهم الاستهداء به وتوقيره وطاعة ما جاء فيه، ويستمد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منه الهدي والحكمة والطاقة المعنوية والبركة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[٢]، ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾[٣]، ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾[٤].

وقد جاء في حديث الثقلين المعروف أنّ القرآن الكريم هو الثقل الأكبر، وعترة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هم الثقل الأصغر، وقال الإمام علي (عليه السلام) في بعض خطبه: (أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ، وأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ)[٥]، وقد وصف الإمام (عليه السلام) القرآن الكريم توصيفاً بليغاً يعبِّر عن عظمة مكانة القرآن الكريم.

---

(١) سورة النساء: آية ١٤٠.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩.

(٣) سورة الإسراء: آية ٤٥.

(٤) سورة المزمل: آية ١ ـ ٥.

(٥) نهج البلاغة: ١٢٠.

وبذلك اتضح أنّ ابتداء القرآن الكريم وسوره بالبسملة كأدب داخلي كان اقتضاء مؤكداً بشكل خاص، ولكن مع ذلك فإنّ هذا الأدب القرآني ذو بُعد مثلي، فهو أدب عام يجري في سائر الأقوال والأفعال ويتأكد في الأقرب فالأقرب من القرآن الكريم.

وتظهر جهات القرب والبعد مع القرآن في سائر الأقوال والأفعال بحسب مدى مشاركتها مع خصائص القرآن، ومنها:

الأوّلى: أنّ مورد البسملة في القرآن الكريم كلام الله سبحانه، ولكن في بداية السورة، فيتأكد قراءتها عند تلاوة كلامه وإن كان وسط السورة كما يتعارف ذلك عند المسلمين.

الثاني: أنّ القرآن الكريم كلامٌ مدوّن، ولذلك يتأكد الإتيان بالبسملة في ما كان أشبه به من هذه الجهة بالمقارنة مع ما ليس كذلك.

الثالث: أنّ القرآن الكريم حكاية عن الله تعالى، فتتأكد البسملة فيما إذا حكى المتكلم كلام الله تعالى ولو بالمعنى أو تصدى لتفسيره.

الرابع: أنّ القرآن الكريم ذو مضمون معنوي خاص، فتتأكد البسملة فيما كان مضمون الكلام شيئاً معنوياً مثله كما في خطب نهج البلاغة، وكذا إذا كان دعاء كالصحيفة السجادية فهي أقرب من هذه الزاوية.

الخامس: أنّ القرآن الكريم أمر خطير وعظيم كما تقدم، وعليه فإنه يتأكد الإتيان بالبسملة عند القيام بالأمور الخطيرة والحساسة التي تترك آثاراً كبيرة في حياة الفرد أو المجتمع.

السادس: أنّ القرآن الكريم نعمة عظمى من الله سبحانه، وقد مَنّ الله سبحانه ببعثة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بهذا القرآن، ولم يعبِّر بالمنّ في سائر نعمه، قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿**كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**﴾[٢].

وعليه فيتأكد الإتيان بالبسملة في بداية الاستمتاع بالنعم لا سيما الكبيرة.

هذا، وللبسملة خصوصيات مميزة بين الآداب التوحيدية لله سبحانه من جهات عديدة:

١-إنها الأدب الذي افتتح الله به كتابه فهي أوّل آية نزلت من القرآن الكريم، بناء على الصحيح من كونها جزءاً من سورة العلق وسائر السور القرآنية، وهي بذلك صدر الكتاب ومطلعه ووجهه وواجهته الأولى، وقد عرفنا أنّ كتاب الله سبحانه هو وجه الدين وواجهته التي مَنَّ الله سبحانه به على الإنسان وهدى به الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٦٤.

(٢) سورة النساء: آية ٩٤.

وقد تكررت البسملة في القرآن أكثر من أيّة آيات أخرى بحكم كونها جزءاً من أوّل السور كلها عدا البراءة، ولذلك فإنها تتكرر لدى قراءة القرآن أكثر من أيّة آية أخرى.

٢-إنها من الأدب المفروض والذكر الواجب والتحية اليومية في ضمن الصلاة بالنظر إلى كونها جزءاً من القرآن الذي تكون قراءته فرضاً على المكلف في الصلوات المفروضة كلها، حيث يجب عليه قراءة سورة الحمد المشتملة على البسملة في عشر ركعات من الصلوات المفروضة التي هي سبعة عشر ركعة مجموعاً، وكذلك تجب قراءتها في القراءة الواجبة بعد الحمد بناء على اعتبار كونها سورة كاملة كما هو قول فقهي مشهور.

بل لا يخلو عن هذا الأدب أية صلاة لأنّ سورة الحمد جزء لازم منها.

٣-إنها أدب سيال، لأنها تكون في بداية كل فعل وقول، وبذلك تتكرر على وجه دائم إذا واظب الإنسان عليها.

٤-إنها الأدب الذي يستحضر به الإنسان اقتران أفعاله كلها بالله سبحانه، وإنما تحدث بحوله سبحانه وقوّته وإمداده وإذنه وتمكينه والسنن التي أبدعها وسنّها.

إذن اتضح بما ذكرنا أنّ البسملة أدب في ضمن منظومة الآداب الدينية مع الله سبحانه التي تفرضها طبيعةُ موقع الله سبحانه بالنسبة إلى الإنسان وسائر الأشياء من حوله، ونسبةُ الإنسان وما يتمتع به إلى الله سبحانه، ولها خصوصياتها المميزة، كما أنها في الحال نفسه تعبّر عن جملة من الآداب الأخرى المتقدمة من الإيمان بالله

سبحانه وتوحيده، وتؤكّد على أنّ صفة الرحمة من صفاته، وبذلك فهي تكرّس هذه المعاني في داخل الإنسان وفي المجتمع الإنساني وتقيه من الزلل في موردها، والإنسان والمجتمع مظنة للزلل دوماً حيث نجد معاني الشرك تتسرب إلى داخل الأديان والمذاهب من كل مدخل مغطاة بوجوه من التأويل حتى سعى جماعة من الغلاة لإزاحة دلالة البسملة على التوحيد بتأويل مدلولها كما سيأتي ذكر ذلك.